الاوروبيين البعيدين عنهما . هذا الظل أصبح قريبا منا الى حد ان الغربيين يخشون ان يكون بينهم . فهو ليس فانتوماس أو طرزان . لا يحمل اي اسم ، والامر افضل كذلك.

عندما نقلت أيلول الاسود النضال الى اوروبا ، انما أعـادته الى ساحته الاصلية . فاعادة نقل الحرب الى أوروبا هي ، بالنسبـة للفلسطينيين عودة منطقية الى منبع مصائبهم : فالحكومات الروسية والبولونية والالمانية والفرنسية والبريطانية هي التي ساهمت في خلق الدولة اليهودية . وعودة الفلسطينيين الى تلك الديار — سواء أكانوا رافعين اصبع الاتهام ام قبضة الانتقام ، لا بد وان تساعد أوروبا في تحمل مسؤوليتها في موجات اضطهاد اليهود . فأوروبا لم تبال بحملات اضطهاد اليهود المتتالية ، كما انها لم تبال لذبح السكان العرب في فلسطين . ولم يكن أمام اليهود ، حينذاك ، سوى اقتحام اقل المواقع مقاومة : تلك المقاطعة العثمانية التي ، حسب ما يقال الان ، كانوا قـد طردوا منها منذ الفي عام ونيف . ومن طردهم حينذاك ؟ الرومان ، لا العرب . وقدم الاسرائيليون من كافة أرجاء أوروبا . واما اذا حدث أن وجد بينهم بعض اليهود العراقيين واليمنيين الذين نجوا من مذابح مزعومة ، فهذه قد تكون نقطة سوداء في سجل اليمن أو العراق ، لا في خانة الفلسطينيين .

على اي حال ، ما هي تلك الالعاب الاولمبية بالضبط ؟ في الاصل ، صدر قرار تأسيسها في مدينة دلف ، وذلك لاقامة هدنة بين المدن الاغريقية المتحاربة . ولكن اليونان هي أيضا أوروبا . وعندما أعاد البارون « بيار دي كوبرتان » الحياة للروح الاولمبية ، فانه لم يفعل ذلك لبراءته الطفولية : اذ كان ذلك ضربا من الامبريالية الثقافية نظرا الى كون الرياضي الياباني والكوري والسنغالي والمغربي على السواء مرغمين على تعلم تاريخ اليونان ، ان هم أرادوا معرفة تاريخ الالعاب الاولمبية وروحها . لذلك ، يشكل اختيار الفلسطينيين لرهائن اسرائيلية ، في أوروبا ، في المانيا ، وسط العاب أولمبية ، تلخيصا جامعا وبليغا للمسالة الفلسطينية . وما بات يتضح بحدة من خلال ذلك النضال هو تخطي الصراع لنفسه ، بمعنى أن النضال لم يعد يقتصر على الصهيونية والامبريالية ، بل أصبح يكافح ضد أخلاقية طاغية ، هي الاخلاقية التي تنبع منها كل القيم الغربية ، والتي تنبع منها أيضا العنصرية ، ومعاداة السامية ، والصهيونية، والرأسمالية ومختلف الامبرياليات . وقد فرضت تلك الاخلاقية نفسها بطريقة طغيانية .

وجميع تفجرات العالم الثالث — وفلسطين من ضمنها — انما تهدف ، على ما يبدو لي ، الى مجابهة تلك الكلمات التي تريد فرض نفسها كأحكام وادانات . ان هذه الاخلاق بدأت تمارس تأثيرها من خلال تغلغلها داخل اللغة وتلويثها .

تقول الصحف الاوروبية في وصف الفلسطينيين وأعمالهم : « أعمال عنف أعمى » ، و« جرائم لا يمكن تفسيرها » ، « لا انسانية » ، « دنيئة » ... تلك محاولة لارهاب الفلسطينيين بواسطة أخلاق خانقة هي أخلاق الاوروبيين دون سواهم .

« نداء توجهه السيدة مئير الى العالم الحر » (الفيغارو — ١٣ أيلول ١٩٧٢) . هذا العنوان هو زلة لسان تكشف عن كون فلسطين ليست حرة . ولكن العنوان نفسه يعتبر ان « العالم الحر » — الذي تنتمي اليه اسرائيل — لا يمكن خلطـه مع العالم المغلل بالقيود ، الذي ينهبه « العالم الحر » . ودون أن يعي ذلك ، فان المحرر الصحفي قد جعل تلك الحقيقة جلية للعيان : « العالم الحر » له جيوشه ، ومصارفه ، وسجونه ، وأبنيته الشاهقة ، وبيروقراطيته ، وتاريخه المكتوب ذو الالتواءات التي لا حصر لها ، كل ذلك لمواجهة « الضياع » الفلسطيني . وكلما اندلعت حرب بين أوروبا والعالم الثالث ، فهي لا تلبث أن تصبح معركة الخير والشر ، حيث تمثل أوروبا طبعا الخير كله — هذا ان لم تكن هي الخير بحد ذاته . لذلك يجدر بنا التساؤل عن جدوى تصرف الفلسطينيين على